



## فقدان التوازن

لثلاثة عقود كانت حصانة مملكة البعث في دمشق تأتي من ثباتها، حتى في الخطأ. بل ان صورة التوازن التي لازمت حكم مؤسس النظام حافظ الاسد كانت كفيلة بأن تدوم بعده، رغم المحاولات التجميلية التي لجأ اليها خلفه وما لبث ان تخلى عنها. ولكن يبدو ان للثبات حدودا، ولا سيما بعدما دخلت على المعادلة الإقليمية والدولية معطيات لا يفيد في التعامل معها ارث الاسد الاب. وها هي امارات فقدان التوازن تظهر الآن، وبسرعة مطردة، على الدوائر السياسية السورية (وامتداداتها اللبنانيّة)، بما يوحي ان مسؤولي المتبقي من البعثيين راحوا يستشعرون اخيراً غياب الاب المؤسس، وان لم يقرّوا بعد كلياً بمقاعيل غيابه.

ليس المقصود بإمارات فقدان التوازن تلك الاشارات المتناقضة التي صارت تأتينا من الاعلام السوري في عهد وزير الزمبل مهدي دخل الله. ففي هذا التخبط بحث لعله محمود عن سبل التغيير، وان يكن ضمن الاستمرارية المميتة. ولا تدخل ايضاً في هذا السياق الدعوة التي وجهها قبل يومين الرئيس بشار الاسد الى الفنانين من اجل "الافادة من هامش الحرية والنقد الذي يتسع اكثر فاكثر"، على ما قالته مصادر سورية رفيعة المستوى للزمبلية "الحياة". ففي مثل هذه الدعوة، مهما بدت غريبة في تعبيرها، نفس تجميلي ينم على الاقل عن حاجة مستجدة الى ايهام المواطن ان الامور سوف تتغير ولا بد...

في مقابل هذه المحاولات المتواضعة للاقرار بأن الاوضاع تحتاج الى تحسين، بل، يمكن رصد مؤشرات خطيرة على فقدان التوازن. فمثل هذه المؤشرات تظهر حين تأخذ السياسة السورية بمناقضة اسسها المعلنة، وخصوصاً حين يأتي الامر الى موضع الثبات المعهود، اي السياسة الاقليمية، سواء اكان ذلك في سوريا نفسها ام في الفضاء اللبناني الملحق بها.

في الفضاء اللبناني، هذا ما يحصل مثلاً حين يتخلّى فجأة عن "الخط القومي" عن تنديدهم الثابت بالعرفانية ليستولوا على ذكرى رجل رجموه مئات المرات في حياته. فبعدما هرول الى جنازة الرئيس ياسر عرفات في القاهرة من امضى سنوات يحاصر العرفانية في مخيّماتها حتى تجويتها، ومن اناط بنفسه مهمة ملاحقة عملاء تلك العرفانية العابثين بأمن العلاقات المميزة، ها هو حزب التلازم بررمته يتنافس على حضور تأبين عرفات في حفل بيروتي، ومن دون ان يكُلف احد منهم نفسه عناء الاعتذار عن اطنان القمامات التي رموها على المحتفى به منذ اعوام واعوام! واذا كان يمكن ان يؤخذ هذا المشهد المعيب على الانتهازية السياسية لمسؤولي "فتح" في لبنان، وهو ما ينذر باحتمالات تلاعب جديدة بالساحة الفلسطينية في لبنان، الا ان اهم ما يستدل منه يبقى تلك الحاجة السورية غير المسبوقة الى طيف عرفات، وكأن التغفي، وان كاذباً، بالزعيم الراحل يفيد في ترميم صورة "النظام المناضل" من دون كبير كلفة، فيما الادوات المعهودة في العدة البعثية اضحت عديمة الفاعلية، وتحديداً بعد انتهاء زمن الالتباس ازاء الاحتلال الاميركي للعراق.

والحال ان مشاركة سوريا في مؤتمر شرم الشيخ حول العراق تأتي، في الاتجاه الآخر، لتضييع البوصلة البعثية كلّاً. اولاً في الشكل، فكيف ننسى ان سوريا الاسدية كانت ترى في كلمة شرم الشيخ في ذاتها مذمة وان ابواها في دمشق وبيروت حصلوا اختصاصاً رفيع المستوى في تبيان اخطر



مؤتمرات شرم الشيخ المناهضة للارهاب؟ وثانياً في المضمون، اذ يوازي اشتراك سوريا في هذا المهرجان الدولي الجديد تخلياً علنياً عن تقدير المقاومة للمقاومة، وان تكون كل مفاعيل هذا التخلّي لم تظهر بعد للوزير فاروق الشرع، رغم ترؤسه الوفد السوري الذي طوى صفحة الالتباس.

عودة الى لبنان: لقد اظهرت القيادة السورية عناداً عقيماً غير معهود وعرّضت نفسها لعزلة دولية كرمى لعيون الرئيس اميل لحود، ولكنها ما ان وضعت خطيبة التمديد وراءها، او هكذا اعتقادت، حتى راحت تلغى مفاعيل هذا التمديد في السياسة اليومية. ولعل المفارقة ان تبدأ الفترة المددة من العهد المنتهية ولايته الاصلية فيما المدد له شبه غائب عن ادارة شؤون المحمية اللبنانية، وان يرافق انفقاءه ضمور لانفلاش الاجهزة الامنية لمصلحة صيغة جديدة تقوم على الثنائي الشمالي المتمثل برئيس الحكومة عمر كرامي ووزير الداخلية سليمان فرنجية، وهذا حتى اشعار آخر.

مؤدى الكلام انه لم يعد ممكناً الركون الى ثبات البعث في دمشق وعملائه في بيروت وعنجر. فقد صار جلياً ان ما يستدر الحماسة اليوم قابل للتغيير غداً، وهذه مشكلة بالتأكيد لكل من عليه التعاطي مع الحكم السوري، فكم بالحري اولئك الذين يأتّرون به. فكيف يتورطون بعد الآن في ما قد يضطرون الى التوصل منه غداً؟ كيف يستمرّون مثلاً في الدفاع الاعمى عن الهيمنة السورية وهم

يستطيعون ان يستشعروا من فقدان التوازن في دمشق، انها الى زوال؟

قد يقول قائل انهم لم يستشعروا شيئاً، بل انهم فقدوا ملكة الاحساس، بدليل انهم يهينون لمغامرة مرتبعة سماها رئيس الحكومة "ظاهرة المليون"، وهي التي لن تقيّد الا في فتح جراح لبنانية داخلية ولن تسعد الهيمنة السورية في شيء امام الدول الغربية العارفة ان الصندوق الاسود للمخابرات قادر على جلب اعداد كبيرة من الناس الى بيروت في مقابل وجبة غداء مجانية، وان اضطر الى الاتيان بهم من الحسكة او من دير الزور.

ثمة من يدعّي ان فكرة هذه التظاهرة ليست دمشقية المنشأ، وانها من بدع حزب التلازم او احد المجتهدين فيه. وهذا افضل بالتأكيد، لكن الاستمرار في المشروع حتى تحقيقه سوف يعني مباركة سورية، وهذا بدوره سوف يوازي اعلاناً من الحكم في دمشق انه لن يسعى الى استعادة توازنه، وان لا مجال بعد الان لمخاطبته بالمنطق.

سمير قصیر



<b>Id-Reference</b>	04-Pr-000663	
<b>Media</b>	(Support)	HC
<b>Title</b>		فقدان التوازن
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>	26/11/2004	٢٠٠٤/١١/٢٦
<b>Author</b>		سمير قصیر
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	عمر.كرامي - حافظ.اسد - بشار.اسد - مهدي.دخل.الله - سليمان.فرنجية - ياسر.عرفات - فاروق.شرع - اميل.لحوذ
	<b>Locations</b>	سوريا - لبنان - فلسطين - العراق - اميركا - قاهرة - دمشق
	<b>Dates</b>	
	<b>Themes</b>	سوريا - لبنان - حكم.بعثي - سياسة - ياسر.عرفات - جنازة.عرفات - اقليمية - عنجر - حزب.بعث - وصاية.سورية - حصار.عرفات - مقاومة - عرفاتية - سوريا - نظام.حافظ.اسد - بشار.اسد - "علاقات.مميزة" - علاقات.لبنانية.سورية - ارث.اسد.أب - اعلام.سوري - جريدة.حياة - حركة.فتح - احتلال.اميركي.عراق - نظام.اسد - مؤتمر.شرم.شيخ - ارهاب - اميل.لحوذ - فاروق.شرع - أجهزة.أمنية - حكم.سوري - هيمنة.سورية - تظاهرة.مليون - مخابرات.سورية.لبنانية
<b>Subject</b>		